

تلقي السيميائية السردية في النقد المغاربي المعاصر
 "قراءة في كتاب في الخطاب السردى-نظرية غريماس - لمحمد الناصر العجيمي"

The reception of narrative semiotics in contemporary Maghreb criticism

"In Narrative Discourse - Grimas Theory " by
 Muhammad Al-Nasir Al-Ajimi" model

فتيحة سردي*

جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، fatihaseridi585@yahoo.com

تاريخ النشر: 2022/06/07

تاريخ القبول: 2022/03/24

تاريخ الاستلام: 2022/02/22

ملخص:

تأتي دراستنا لتسليط الضوء على ما اعتري تلقي السيميائيات السردية في النقد المغاربي من صعوبات وعراقيل والتي حالت دون تمثل هذه النظرية في بعدها النظري والإجرائي والوقوف عند جملة من المقترحات المقدمة من قبل بعض النقاد لتدليل هذه الصعوبات متخذين من دراسة الناقد التونسي "محمد الناصر العجيمي" والموسومة: "في الخطاب السردى" نظرية غريماس أنموذجا لتبين من خلالها مواطن التوفيق من مواطن الإخفاق في تمثل هذه النظرية.

كلمات مفتاحية: السيميائية السردية، التلقي، النظرية، النقد المغاربي، المصطلح.

Abstract:

Our study demonstrates the difficulties and obstacles encountered in the reception of narrative semiotics in Maghrebian criticism, which have prevented this theory in its theoretical and procedural dimensions to be affordable. We try to look at certain number of proposals submitted by certain researchers to overcome these difficulties. The study of the Tunisian researcher "Mohamed Al-Nasser." Al-Ajimi": "In narrative discourse" will be a model through which we can discern points of success from points of failure in representing this theory.

Keywords: Narrative semiotics; reception; theory; Maghrebian criticism; term.

- مقدمة:

ظهرت السيميائية السردية بوصفها منهجا يصبو إلى الاستقلالية والاكتمال مع ظهور كتاب الدلالة البنيوية (sémantique structurale لغريماس A/J Greimas) وازداد هذا التوجه صلابة في الدرس الأدبي في منجزات لاحقة لغريماس وضحت وفصلت وعمقت في الكثير من الإشكاليات التي يطرحها هذا المنهج الجديد.

تجسد ذلك في كتابه (في المعنى Du sens) ، وفي الجزء الأول من المعجم السيميائي الذي أنجزه بمعية كورتيس J/Courtes الذي صدر سنة 1979 وكذلك في بعض الاجتهادات التي قام بها شراح غريماس وتلامذته أمثال كورتيس وراستيه F/rastier ، وجون كلود كوكي J/Claude Coquet .

إن المجال الذي تتحرك فيه السيميائية المحايثة -حسب غريماس - لا يخرج عن دراسة الأشكال المختلفة لوجود المعنى، وطرق تمظهره بالإضافة إلى وصف المضامين وتحويلها¹.

كانت الغاية التي توخاها غريماس من خلال وضعه لهذا الكتاب هو سعيه إلى حل إشكال على مستوى كبير من الأهمية وهو اعتقاد الكثير من اللسانيين أن التحليل الدلالي أو دراسة المعنى في حد ذاته لا يمكن أن يصل إلى الدقة العلمية مقارنة بالدراسات الشكلية للسان التي يمكن ملاحظتها كما يمكن قياسها ((observables et mesurables، في حين لا يمكن ملاحظة المعنى أو قياسه²؛ لأنه يفرض معرفة خارج لسانية ((فمن الطبيعي أن تتساءل الأوساط اللسانية فيما إذا كان علم الدلالة ينطوي على موضوع متجانس يستجيب للتحليل البنيوي، وبتعبير آخر هل يحق لنا اعتبار علم الدلالة مبحثا لسانيا؟))³.

لم تكن غاية هذا المنهج هي إضفاء الصبغة العلمية على علم الدلالة فحسب، بل إنه توجه صوب التلفظ ونظر إليه نظرة محايثة مستثمرا مكتسبات جاكسون R/Jakobson في التواصل ليؤسس مفهوم البنية المنتجة للعمل والمتمثلة في النموذج العاملي، وطروحات كثيرة أخرى لا يتسع المقام أو طبيعة الدراسة عرضها بكل تفاصيلها.

1- صعوبات منهجية في التلقي:

لا يتعد تلقي السيميائية السردية في النقد المغاربي عن تلقي مجمل النظريات والمناهج الوافدة من الفكر الغربي، إن على المستوى النظري أو الإجرائي رغبة في الوصول إلى طرح جديد يحاول تحليل الخطاب السردى من خلال السيماتيات. ليس بخاف على أحد من أن هذه النظرية وسمت منذ بداياتها الأولى بالصعوبة وبالمستعصبة، وليس من اليسير تمثل خصوصياتها والتوغل في سراديبها، من هنا يأتي تفسير محدودية النتائج المتوصل إليها وكذا محدودية عدد المهتمين بهذا المنهج. تعزى الصعوبة إلى استناد هذه النظرية إلى علوم ذات الصلة بمعارف متباينة تارة ومتداخلة تارة أخرى كالمنطق، والرياضيات، والفلسفة، والدلالة، وعلوم أخرى تصعب الاستفادة منها في استقلاليتها فما بالك لو تداخلت مع علوم أخرى؟ لذلك كان تلقي هذه النظرية يسير في منحنيين: المنحى الأول وهو الراض لهذا التوجه الجديد(الصعب) في دراسة النص الأدبي، ونخص ذكرا هؤلاء الذين يرون أن الحكم على النص الأدبي نابع من الذوق والانطباع ولا مجال لاستبدال هذه المعايير بمعايير أخرى قد تخفق في مساءلة النص أو الكشف عن جمالياته. والمنحى الثاني وهو الذي يؤمن بأن مبدأ الاجتهاد أو محاولة تجاوز الصعوبات كفيل بإزاحة اللبس والغموض الذي كثيرا ما وسمت به هذه النظرية، وأن ((الدعوة لكل قارئ وباحث وللطالب الجامعي خصوصا أن لا يقنع من هذه المناهج بالسمعة الترهيبية ولا بالتهويل المنفر، بل يكفي صبر مدة وتعهد أكثر من جهد بحثي وتألفي لكي تتبدى معالم الدرس، وتستبين الكثير من خصائصه))⁴.

لم يصدر القول بصعوبة النظرية عن الجهة المستقبلية فحسب بل هناك من أسهم في بنائها وفي تشييدها يقر بهذه الصعوبة ومنهم كورتيس (J/Courtes) الذي يعترف لقرائه بصعوبة ما ورد في كتابه سيميائية اللغة الذي تبني فيه الكثير من طروحات أستاذه غريماس (A/Greimas)، إذ يقول: ((إن صعوبات الفهم الأولى التي تصادف في بداية الكتاب ستختفي تدريجيا كلما تقدمت القراءة، إذ أن كل مفردة تجد فيه تحديدها))⁵.

إن التأكيد على صعوبة تلقي السيميائية السردية، والشأن نفسه بالنسبة للنقد السيميائي عموما نابع -حسب رأينا- من افتقاد الكثير من النقاد للخلفيات المعرفية التي شكلت النظرية، فالنظريات الغربية الوافدة على الثقافة العربية لازالت تقراً في العالم العربي مفصولة عن هويتها، وعن إرهاصات تكوينها، وسياقاتها الثقافية و المعرفية، فكثيرا ما قدمت

هذه النظريات بعيدا عن الرؤى التحتية التي من شأنها تأصيل قواعد البحث العلمي، وبناء المنهجية والمصطلحية المعتمدة في التحليل السيميائي ذي التوجه الغريماسي هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن استيعاب النظرية السيميائية صعب في لغتها فما بالك باللغات التي تترجم إليها؟

ليس من اليسير على القارئ العربي مواجهة ما كتب عن السيميائيات السردية لاسيما وأن الترجمات في أحيان كثيرة تعبر عن رغبة فردية، وقد تخضع لميولات شخصية أكثر ما تخضع لهدف معرفي موحد، وهذا ما يزيد من غموض النظرية وصعوبتها، وبالتالي لا تفي بالغرض العلمي ((فالقارئ العربي يلقى مشقة كبيرة في فهمها، وتمثلها واستساغتها وفك رموزها ومصطلحاتها، فهو يقرأ ويبذل مجهودا كبيرا لتطويق فكرة أو مفهوم، لفهم ما يترجم إلى اللغة العربية، ولكنه لا يفهم ولا يجد إلى ذلك سبيلا، وأنى له أن يتمثل ما يقرأ وهو يفتقد إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعها السيميائية، ومفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية والمفاهيمية بين هذا المصطلح أو ذاك، هذا التيار أو ذلك))⁶ بهذا الطرح ينتبه رشيد بن مالك إلى العلة الكامنة وراء ذلك الضعف والوهن الذي أصاب النقد العربي الحداثي، خاصة وأنه ذلك الناقد الذي اطلع على سيميائية غريماس في موطنها، وتلقى هذه المعرفة من أفواه أعلامها ومنظريها، ولم يتردد في الكثير من آرائه بالقول أن الخطاب الغريماسي يحمل الكثير من الطلاسم والتعقيدات ومن الصعب تحديد مقاصده العلمية⁶.

إن هذا القصور الواضح في التعريف بمختلف الأصول المعرفية، والأطر المرجعية التي كانت وراء عدم نضج السيميائية نظرية في تحليل الخطاب، كثيرا ما نبه إليه الدارسون واستشعروا أهمية التعريف ((بالتأريخ للحركة السيميائية بوصفها مشروع بحث في طور الإنجاز ضروري لموضعها في سياقها التاريخي، وضبط معالمها، والكشف عن النظريات التي مهدت لظهورها، وهذه العملية ضرورية وكفيلة بتوجيه القارئ نحو أصولها مباشرة، إذ بدونها سيجد لا محالة مشقة كبيرة في استساغة هذه النصوص السيميائية التي تكاد تكون معقدة في قراءتها حتى على المختصين، وتتعدد الأمور أكثر فأكثر باضطراب الخطابات السيميائية المعاصرة))⁷.

يتبنى الباحث الأكاديمي أحمد يوسف القناعة نفسها إذ يرى أن تبين معالم السيميائية والكشف عن أسرارها وخصوصياتها وأن الحديث عن كل تنظير سيميائي لا بد وأن يمر عبر تصفح مختلف الأطر المرجعية ((لا يمكن تجريد السيميائيات المعاصرة من أصولها

الفلسفة القديمة))⁸؛ والتي سبقت مقولات دوسوسور F/De Saussure و بورس Ch/S.Peirce، والتي تأسست على تراكمات معرفية سابقة والتي يمكن تحديدها في المقولات الفلسفية اليونانية، والمقولات الفلسفية الحديثة، والمنطق القديم والمنطق الحديث. إن حرص الدارسين على تتبع هذه الأطر المعرفية معناه تجنب الوقوع في المزالق والتحكم في الأدوات الإجرائية ومنه الوصول بالمنحى التطبيقي إلى القبول إلى حد معقول.

2- في إشكالية المصطلح:

من العضلات التي واجهت الناقد المغربي وهو يتطلع إلى استيعاب الجهاز المفاهيمي للنظرية السيميائية السردية معضلة ترجمة المصطلح وهي من العضلات القديمة الجديدة التي مازالت تمثل انشغالا على مستوى كبير من الأهمية نظرا لتلك الخصوصية التي ينفرد بها المصطلح، إذ أنه ((ينبغي على مستوى عال من التدليل والترميز يرجحه أن يكون لغة داخل اللغة، أو علامة من نوع خاص، لأن أصوله التكوينية معقدة بوصفه حصيلة لقوى جذب متباينة))⁹.

بنظرة سريعة على واقع المصطلح السيميائي عموما والمصطلح السيميائي السردى على نحو خاص، لا نختلف مع ما أشيع حول الواقع المتأزم الذي يعيشه المصطلح النقدي في مجال السيميائيات، وقد ترجع أسباب هذه الأزمة إلى تداخل فروع العلم و المعرفة، وتعدد واطعي المصطلح، وعدم تكامل جهودهم وخضوعهم لميولات شخصية بدل أن تكون لفعل معرفي موحد وجماعي -كما سبقت الإشارة - فتاه الباحث المغربي، وكذا الهيئات والمجامع أمام تراكمات اصطلاحية يعوزها الضبط المعرفي والتاريخي والأيدولوجي مما افضى إلى صراع المناهج والمفاهيم والنظريات في مجال العلوم اللغوية والنفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية وغيرها وظهور نزعة تحاول تجاهل المصطلح النقدي بأنواعه أو السعي لتوليد مصطلحات جديدة بطريقة اعتباطية أو انطباعية¹⁰ في غالب الأحيان و بطريقة صارمة في أحيان محدودة. ولا بأس في هذا المقام أن ندلل على اختلاف ترجمات المصطلح السيميائي السردى في النقد المغربي بنماذج نقارن فيها بين مجموعة من النقاد المغربية المشهود لهم بقدرة امتلاكهم للمعرفة السيميائية جاعلين من المصطلح في لغته الأم وفي تصوره الأولي كما ورد في القاموس المعقلن لغريماس المنطلق الأساسي في هذه المقارنة:

Sujet de faire	Séquence	Isotopie	Destinateur	Thématique	المصطلح
ذات الفاعل	متتالية	القطب الدلالي	مرسل	غرضي	عبد الحميد بورايو
ذات الفعل	مقطع	القطب الدلالي	مرسل	تبيي	سعيد بنكراد
ذات الفعل	مقطوعة	إيزوتوبيا	مرسل	موضوعاتي	رشيد بن مالك
ذات الفاعل	مقطع	القطب الدلالي	مؤتى	تبيي	محمد الناصر لعجيجي

في حين حاول بعض الدارسين تقديم اجتهادات خاصة للتخلص من قضية المصطلح وما يثيره من إشكالات على مستوى الترجمة وذلك عبر استبداله بأخر مستوحى من النقد العربي القديم وتربطه بالمصطلح الغربي علاقة المشابهة، إلا أن هذا الاقتراح يخفي الكثير من اللبس والفوضى لأن الإطار الفكري والثقافي والمعرفي الذي نشأ فيه المصطلح العربي يختلف عن مثيله الأجنبي.

ندلل على هذه الإشكالية بما ذهب إليه "عبد المالك مرتاض" في مقال لافلت للانتباه والموسوم بـ "مفاهيم سيميائية بمصطلحات بلاغية" وفيه انتقد المنهجية المتبعة من قبل بعض الدارسين في وضع المقابل العربي للمصطلح الأجنبي إذ تكفي -حسب رأيه- العودة إلى الدرس البلاغي العربي القديم للعثور على ما يصبو الدارس إلى ترجمته إلى اللغة العربية ((وحين يلوك السيميائيون العرب اليوم بألسنتهم بعض المفاهيم في إطار العلوم الإنسانية الجديدة كالسيميائيات واللسانيات (...)) عليهم أن يعودوا إلى أصول بعض هذه المفاهيم لينظروا من أين جاءت؟ وفيم كانت؟ وهل كانت تضطرب في مفاهيم البلاغيين القدماء العرب وغير العرب؟ (...)) فألفينا بعضها مما يركض في هذا المجال، أي أن الأصل فيها بلاغي ولكن الراهن الذي هي عليه سيميائي))¹¹.

إن المصطلح السيميائي من وجهة نظر "مرتاض" ما كان ليمثل إشكالية في النقد العربي لو عاد الناقد العربي للتراث ونهل منه ما أمكن من المصطلحات تشبع نهمه المعرفي من جهة، وتقيه مغبة التيه في اختيار المصطلح الدال. إن السؤال المطروح: هل يمكن لهذا الإشكال أن يفض وينتهي إذا ما استندنا إلى ما أسداه مرتاض من حلول؟ إن النظرية

السيميائية التي مازال الناقد العربي في مواجهتها يكتنفها نوع من الغموض والضبابية لدى المتلقي العربي، خاصة وأنها نشأت في بيئة فكرية وفلسفية تنحاز إلى منهجية العلم وتنظيراته الجدلية وليس من اليسير اقتلاع هذه النظرية عن أطرها وعن خلفياتها التي أسهمت في انبثاقها فنحن ((نرتكب إثما لا يغتفر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربي وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى، بكل عواقبه المعرفية إلى ثقافة مختلفة هي الثقافة العربية دون إدراك للاختلاف))¹².

إن الثقافة الغربية المنتجة لهذه النظرية أو غيرها من النظريات في حقل العلوم الإنسانية مازالت تعاني من الاضطراب والغموض في وضع المصطلح بل يتعدى ذلك إلى عدم توحيد، ومن أمثلة ذلك أن المصطلح الدال على تسمية هذا الحقل المعرفي لم يقع الإجماع حوله. فالناقد الفرنسي انتصر لمصطلح السيميولوجيا السوسوري، في حين انتصر معظم النقاد الإنجليز والأمريكان لمصطلح السيميوطيقا الذي استخدمه بيرس، في حين تدل كلتا التسميتين على مدلول واحد يفهم منه أنه علم العلامات. من هنا وجب التساؤل: هل يمكن الأخذ بالاقتراح الذي قدمه مرتاض ونضع نقطة نهاية وفصل في قضية المصطلح النقدي عموما والسيميائي تحديدا؟

3- تطبيقات السيميائية السردية في كتاب " في الخطاب السردية - نظرية غريماس - لمحمد الناصر العجيمي " ¹³:

يعد محمد الناصر العجيمي من النقاد التونسيين الذين لامسوا في وقت مبكر النظرية السيميائية السردية على النحو الذي نظر لها غريماس، خاصة وأن الأبحاث النقدية والأدبية في تونس فترة صدور هذه الدراسة كانت تنحو منحى أسلوبيا بالمقام الأول، لذلك يمكن عد هذه الدراسة من الاجتهادات المبكرة في تونس والتي كانت تتوق إلى تقريب هذه النظرية إلى القارئ التونسي خاصة والقارئ العربي بشكل عام.

جاءت هذه الدراسة موزعة على قسمين: اختص القسم الأول بالتقديم لنظرية غريماس، أما القسم الثاني فقد كان تطبيقيا، حاول فيه الدارس إسقاط الجهاز المفاهيمي الذي صدر به هذه الدراسة على نص تراثي وهو " الأرنب والفيلة " الذي اختاره من مؤلف " كلية ودمنة لابن المقفع "، لذلك تفرض علينا طبيعة هذه الدراسة التطبيقية التي قدمها

لعجبي العودة إلى القسم النظري لرصد مدى تمثله لنظرية غريماس خاصة على صعيد المصطلح والتصور العام.

يبدأ النص -كما يرى الدارس - بالوضعية الأولية وهي وصف حالة العطش التي تمكنت من الفيلة، ثم مواصلة الحدث وسيرورته وتوجه الأرناب إلى عين القمر وتديبيرهم لحيلة تخلصها من ظلم الفيلة، وأخيرا الوضعية النهائية التي تصف الأرناب بعد عودة الاستقرار والطمأنينة.

استظهر العجبي العناصر السردية حسب ظهورها في القصة، وتحديد مجمل التحويلات التي تحكم بنية الخطاب السردية. يقوم ملفوظ الحالة *sujet d'état* على أساس العلاقة القائمة بين الفاعل والموضوع ويتم التمييز بين ملفوظين:

* ملفوظ حالة وصلي (*conjonctif*) بحيث يكون الفاعل في وصلة بموضوع القيمة.

* ملفوظ حالة فصلي (*disjonctif*) بحيث يكون الفاعل في فصلة بموضوع القيمة.

تميز ملفوظ الحالة بوضعه القار والثابت، أما ملفوظ الفعل فإنه يعكس جملة من التحولات التي يحدثها الفاعل المنفذ *sujet opérateur* للدخول في وصلة بموضوع القيمة، وفي هذا السياق يجب التمييز بين تحويلين أساسيين:

* التحويل الوصلي: ويخضع للانتقال من حالة وصلة بالموضوع إلى حالة فصلة عنه.

* التحويل الفصلي: ويخضع للانتقال من حالة فصلة إلى حالة وصلة به.

هذا ما أشار إليه الدارس في قوله: ((يخضع النص في شكله العام إلى بنية داخلية تقوم بين البداية والنهاية على تحول من وضعية اتصال انعكاسي (*conjonction réflexive*) لذات فاعلة (...)) إلى وضعية انفصال متعد ((*conjonction transitive*) (...)) وتردد الوضعية من الاتصال إلى الانفصال أو العكس يعد من المقومات الرئيسية المؤسسة لمفهوم الاختبار ((*épreuve*) وفق النموذج العاملي (*modèle actantiel*))¹⁴.

يتحدد البرنامج السردية بجملة من التحويلات التي تتأسس على العلاقة القائمة بين الفاعل والموضوع وتحويل هذه العلاقة. لقد أشار الدارس إلى جملة من الاعتبارات المنهجية كما أصلت لها السيميائية السردية في بعدها النظري، إلا أنه لم يكشف عن أهميتها ووظيفتها من

حيث أنها نقطة ارتكاز هامة وأساسية للنظر في صور الخطاب، وفي مختلف الآليات التي تتلاقح لتشكيل المسارات الصورية، لأنها ستساعد الدارس في الكشف عن المستوى العميق ومنه تحديد الدورة والسيرورة الدلالية للقصة.

عمل الدارس على ضبط حدود التحول من وضعية إلى أخرى عبر مراحل مستحضرا تصورات غريماس في مقارباته التطبيقية التي تتأسس أولا على آلية التقطيع (le découpage) التي تعد ضرورية للولوج إلى عوالم المحكي، كما أنها تعد نوعا من التأويل لأنها تفضي بنا إلى افتراض تصور أولي لمسار الدلالة من خلال بعض المحددات المكانية، أو الزمانية وتنامي الأحداث وتعاقبها ثم التحولات الصورية التي يتمظهر عبرها السرد.

لا يستجيب نص "الأرناب والفيلة" - حسب لعجبي - للتقطيع لغياب معايير كثيرة في هذا النص، والتي قد تسهم في نجاح عملية تقطيعه بشكل علمي ودقيق، ومن هذه المعايير التي أشار إليها: المعيار البصري، والمعيار الفضائي (المؤشرات الزمانية والمكانية)، إلا أن غياب هذه المعايير لم يمنعه من تقطيع هذا النص الذي يحتمل تبعا لذلك عددا غير محدود من أوجه التقسيم. من هذا المنطلق تم تقسيم النص إلى ثلاثة أقسام، وهو تقسيم يستند إلى تطور الحدث ومراحل سيرورته¹⁵.

لمسنا في تحليل العجبي لمقاطع القصة نوعا من الآلية بل يمكن القول نوعا من الوفاء للنظرية التي رسم حدودها غريماس، بحيث افتقد هذا العمل إلى الأريحية في التعامل معه سواء على مستوى المصطلح أو المنهج. إن كل ما توقفنا عنده في مختلف أقسام القصة ومقاطعها التي حددها الدارس يشير إلى تتبعه بعض الخطوات الهامة في تحليل المحكي بغية استكشاف الترسمة العاملة باعتبارها إحدى المستويات الأولى من حيث البساطة والفعالية في أداء المعنى أداء بنائيا، وهو الذي يتيح فهم أدوار الشخصيات وعلاقاتها وأوضاع القوى الفاعلة في البناء السردية ونمط صلاتها ببعضها واتجاه حركتها الكلية.

إن هذه العلاقات الوظيفية منوطة بتحديد الأدوار العاملة انطلاقا من العلاقات التي تتواجد عبر القصة، حتى تتحدد البرامج السردية وتبين أهم الاتصالات والانفصالات بين الذوات والموضوعات. للتدليل على مفهومي الاتصال والانفصال نذكر ما أورده الدارس حول علاقة الحيز الفضائي المؤلف بموضوع القيمة وهو الماء ((ففي مرحلة سابقة لزمان حدوث

الجفاف كان في حال اتصال بالماء أي بالحياة، وأضحى في المرحلة الراهنة منفصلا عنه متصلا بما يشبه الموت))¹⁶.

لم يغفل الدارس توضيح مختلف العوامل الداخلة في النموذج العاملي على طول امتداد أقسام القصة ومقاطعها، كما انبرى إلى جمع السمات الخاصة بالممثلين الفاعلين في نص الأرناب والفيلة، لتختزل في مجموعة أدوار موضوعاتية بحيث يتم الانتقال من الوحدات المعجمية إلى المواضيع على النحو الذي يشير كل موضوع ضمنا إلى فعل معين تقوم به ذات أو ممثل معين.

إن المنهجية التي اعتمدها لعجيمي في تحليله لقصة الأرناب والفيلة يمكن وصفها بالتعليمية، بحيث تطلع إلى عرض وتوضيح بعض المفاهيم والآليات التي يستند إليها في مقارنة المحكي، وتوضيح المحتوى والتنظيم التركيبي للعناصر المشكلة للنموذج العاملي وتجاوز المعضلة المصطلحية على النحو الذي يرتبط التنظير بالتطبيق النقدي وما تجب الإشارة إليه أن المدونة السردية لم تكن غاية في ذاتها بقدر ما تكمن الغاية في توطين منهجية نقدية في مقارنة النصوص السردية.

يقتنع المتمعن في هذه الدراسة أن العجيمي يبحث عن مفاهيم وأطر نظرية معلومة تم تحديدها مسبقا فيجعل من البنية العاملية آلية لتحديد دلالة النص، وللوصول إلى أدوار العوامل في القصة فإنه يقسمها إلى مقاطع أو وحدات سردية صغرى تدل إما على دور شخصية، أو دور ممثل، أو دور عامل.

ما لفت انتباهنا ونحن نقرأ هذه الدراسة أن تحليل المقاطع التي حددها الدارس سلفا جاء بعد وقوفه عند تحليل ظاهرة التضمين في نصوص كليلة ودمنة، بمعنى وجود نص يتضمن نصا آخر لتأكيد فعل الإقناع والحجاج، فالسارد يسرد قصة ويضمها قصة أخرى فينساق المتلقي للأطروحة المقترحة أو يعدلها ((ولئن كان النص المدرس يجسد في حد ذاته عالما مغلقا مكتفيا بذاته، فإنه موصول بسياق عرضي هو" باب الغربان والبوم" المضمن بدوره في سياق أوسع هو كتاب كليلة ودمنة))¹⁷.

لقد وجه الدارس دراسته صوب التحليل التداولي ذلك أن الإقناع والحجاج كلاهما يمثل دعامة بارزة في هذه الحكاية التي أوردها ابن المقفع للتعبير عن واقع الرعية من خلال توظيف أسلوب التلميح ((ينبغي أن نرقى بالقيمة الأساسية في هذه الحكاية على المستوى

التداولي، ونضعها في قلب الحوار الذي دار بين الملك دبشليم والفيلسوف بيدبا الذي يسعى إلى أن يمارس فعله الإقناعي على الملك، وتعمل العملية الإقناعية على تجلية القيم الأساسية المسجلة على المستوى العميق لحكايات ألف ليلة وليلة التي تجري مجرى الخطاب الحجاجي¹⁸.

لقد أثارَت خاصية التضمين انتباه الدارس لأنها لا تمثل فقط سمة شكلية ومبررا لتوالد القصص، بل هي مبرر أيضا في مستوى البنية العميقة، بحيث تم توظيف القصص المضمنة لكي تعكس الدلالات التي جاءت بها القصص الإطار وتؤكد لها.

وفي حديثنا عن المصطلح السيميائي في دراسة العجيمي يمكن القول إن استعماله وترجمته للمصطلح تميز بالتذبذب تارة وبالفوضى تارة أخرى، كما يطالعنا ببعض الترجمات لمصطلحات وقع الإجماع حولها في الدرس السيميائي العربي المعاصر من قبيل مرسل/مرسل إليه (destinateur /destinataire) بحيث يترجم هذين المصطلحين بمؤتى ومؤتى إليه¹⁹ دون تقديم مبررات هذا الاختيار ومخالفة ما وقع الإجماع حوله، والأمر نفسه يتعلق بمصطلحات أخرى نذكر منها:

المصطلح الأجنبي	ما وقع الإجماع حوله	مقترحات العجيمي
Sujet	الذات	الفاعل
Immanent	المحايت	الإنبي
Instance	الهيئة	المعين
Debrayage	الارتداد إلى الماضي	الوكل

يقر العجيمي في مقدمة هذه الدراسة بأن تمثل المصطلح واستيعابه وإيجاد المقابل الدقيق والمنطقي له في اللغة العربية يعد من أعقد العراقيل التي واجهته في تطلعه لتقريب سيميائية غريماس للقارئ العربي ((إن الدارس يواجه حشدا من المصطلحات بالغ الوفرة على نحو لا نكاد نجد له نظيرا في المناهج النقدية الحديثة وفي ظننا أن هذه الظاهرة -ظاهرة وفرة المصطلحات - لا تدل كما يتبادر إلى الذهن على تحذلق علمي بقدر ما تعكس صرامة المنهج²⁰)).

لاحظ الدارس أن نظرية غريماس لم تلق إقبالا من قبل الدارسين العرب، ولم يتكاثف الاهتمام بهذا الحقل المعرفي مقارنة بالتوجهات الأخرى ((فلم يتوفر على دراستها وتقديمها إلا عدد محدود منهم حتى ليداخلنا شعور بأننا نطرق أرضا بكرًا))²¹.

أضاف العجيمي صعوبة أخرى تتعلق بدخول عوالم هذه النظرية لعدم وجود مؤلف لغريماس يستوعب ذلك الجهاز النظري الذي امتد البحث فيه عقودا من الزمن، بحيث تم نشر هذه الأعمال في مؤلفات مستقلة أو ضمن مجلات ودوريات متخصصة تتطلب من المتلقي مجهودا كبيرا ورؤية ثاقبة لفك طلاسمها والوعي بمجمل ظروفاتها، ولهذا يعترف الدارس بتهميه ((الإقدام على بسط نظرية غريماس السردية واقتحام فكر هذا الرجل لما يحف به من إشكال وتعقيد يجعلان مباشرته بمثابة المجازفة))²².

وفي سياق الحديث عن المصطلح السيميائي عند العجيمي لفت انتباهنا دراسة للباحث نفسه في مجلة سيميائيات، وعلى الرغم من وجود حيز زمني بعيد بين الدراسة الأولى (في الخطاب السردى)، والتي صدرت طبعها الأولى سنة 1991م، ومقالته (موقع السيميائية من مناهج البحث الغربي الحديث) التي نشرت في المجلة السابقة الذكر سنة 2006م، إلا أن العجيمي يبقى وفيما لمصطلحاته، فوجدناه على سبيل المثال يبقى ترجمة sujet بفاعل و destinateur بـ مؤتى ومصطلحات كثيرة أخرى²³، فقد تكون قناعة علمية، كما قد تكون اعتبارات ذاتية لا تثق بما اقترح من مصطلحات في هذا المجال، يقول العجيمي ((إننا واجهنا القدر الكبير من المصطلحات بمجهود فردي أساسا، وإن استعنا في حالات نادرة بما عرضه علينا بعض الزملاء من ترجمات، لذا نقر بأن المصطلحات المترجمة تحتاج إلى إعادة نظر وتعديل))²⁴.

4-النتائج:

على الرغم من الصعوبات التي واجهها الناقد العربي عموما والمغاربي بشكل خاص وهو يسائل هذا المنهج الجديد فإنه ولج هذه المغامرة الصعبة والشاقة على ضحالة عدته المعرفية وسطحية تمثله للقناعات الأدبية التي أضحت كيانا يمارس سلطة في الثقافة الغربية ويغيب على نحو مطلق في الثقافة العربية وتقوم إستراتيجيته على التعرف على هذه النظرية كما أرادها روادها ثم تجريبها في فضاء النقد العربي.

إن التأريخ لحضور هذه النظرية في النقد العربي يشير إلى أنها وفدت إلينا عن طريق بوابة المغرب الأقصى في بداية الثمانينات (...). حيث توفرت شروط موضوعية تمثلت في استنفاد تجارب سابقة كانت موسومة في غالبيتها بالارتكان إلى المقاربات ذات البعد الاجتماعي، اتسمت بتغليب كفة الإيديولوجي على المعرفي (...). لقد ظهرت في هذه اللحظة التاريخية الموسومة بخفوت اليقين في المستقبل وفي الفعل السياسي محاولات لاختبار قدرة السيميائيات على الاستجابة إلى أسئلة الباحث المغربي المقلقة²⁵.

ولج النقد مرحلة القارئ وتبنى مناهج جديدة اصطلاح على تسميتها بما بعد البنيوية وما بعد الحدائث وليدة التفكيكية والسيميائية وبالتالي انتقال سلطة الأدب من الكاتب والنص إلى القارئ الذي يتكفل بوصف النص ودلالاته وعلاقاته ((فكانت الرغبة في إيجاد أدوات لفهم الأنساق واشتغالها ضرورة للوصول إلى النسق الذي يتخفى وراء الواقع ويتحكم في إنتاجه لتمكين الإنسان من توليد الأجوبة اللائقة للتغلب عليه))²⁶.

إن القول بأسبقية الإطار المغربي في الاطلاع هذه النظرية، ورغبة نقاده في تمثيل مفاهيمها ومصطلحاتها يشير أيضا إلى تمكن الناقد المغربي من كسر تلك الصورة النمطية التي ارتسمت في ذهن القارئ العربي فيما يتعلق بالنقد وممارساته في دول المغرب العربي، وهي أنه لا بد له من جسر عبور إلى الفكر الأجنبي، وتمثل ذلك الجسر- من منظور المشاركة- في المشرق العربي لاعتبارات تاريخية كثيرة.

ومن الدوافع التي جعلت المغاربة يلتفتون حول هذه النظرية هو كونها أقرب المقاربات إلى تصوراتهم للنص الروائي بوصفه تخيلا يسعى إلى إعادة إنتاج الواقع من أجل فهمه وتغييره، ونظرا لاهتمامها بالمعنى ومن خلاله الاهتمام بالواقع والعالم²⁷.

إن الظروف الثقافية والمعرفية، والتأطير الجامعي عوامل أسهمت في خلق جيل جديد يترجم من اللغات الأجنبية، وبالتالي تحول الناقد المغربي من مستقبل للنقد الأوروبي عن طريق المشاركة إلى باحث لهذا النقد في العالم العربي عن طريق ترجمته تارة وتناوله بالدرس وبالتحليل تارة أخرى، وواقع الأبحاث النقدية المعاصرة في المغرب العربي أكبر دليل على ذلك: الأبحاث الأكاديمية الجادة حلقات البحث، المجالات المتخصصة²⁸ وإقامة الملتقيات بشكل دوري في العديد من الجامعات بحيث تتوج هذه الأعمال بمجموعة من الإصدارات التي تدل على

مدى رغبة المغاربة في تمثل هذه المعرفة الوافدة والعمل والسعي لنشر ما استجد فيها من أبحاث ودراسات.

تتالي إصدار الكتب التي تهتم بالسيمائية مع منتصف الثمانينات على المستوى النظري والترجمي بشكل خاص مع ظهور بعض المحاولات التطبيقية المحتشمة على مختلف الأجناس الأدبية، وازداد الدرس السيميائي اكتمالا في المغرب العربي حين أعد عدد معتبر من الطلبة أطروحات أكاديمية في السيميائية، وبعضها لازال حبيس رفوف المكتبات الجامعية.

ونحن نرصد تلقي السيميائية في النقد المغاربي تجدر الإشارة إلى ذلك الدور الفعال الذي قامت به البعثات العلمية إلى فرنسا خاصة في تعريف النقد العربي عموما بالسيمائية بحيث تتلمذ عدد من الطلبة المغاربة على يد أعلام السيميائية السردية ونذكر منهم: غريماس، كورتيس، أن إينو... ولم يكتف الطلبة المغاربة من أمثال سعيد بنكراد، ورشيد بن مالك، ومحمد الداهاي... برصد العلامة في النص السردي بل عملوا على إنتاج الدلالة بدل تفسيرها كما رسم حدودها غريماس، وبالتالي شكلت تطبيقاتهم علامات بارزة في مسار النقد السيميائي العربي.

خلاصة يمكن القول إن مجمل الانتقادات التي وجهت للعجيمي في مدى تمثله للسيمائية السردية تظل وجهات نظرا أكثر، ويجب النظر إلى هذا العمل من منطلق المرحلة الزمنية التي ظهر فيه، إذ هو ليس مطالبا بتحقيق الكمال لهذا العمل وسد كل ثغراته المنهجية والمصطلحية، لذلك يمكن عد هذه الدراسة اللبنة الأولى التي تأسس عليها تلقي السيميائية السردية في شقها النظري والتطبيقي في العالم العربي؛ خاصة وأن الدراسات التي سبقتها²⁹ اعترتها نقائص كثيرة حاول الدارس تلافها إلى حد بعيد وفي الوقت ذاته عمل على تطويع النص للمنرج وتقديم قراءة ميسرة يفهمها المتلقي العربي.

- الإحالة والتهميش:

¹ -A/J Greimas, Du sens, essai sémiotique, éd seuil, Paris , 1970, p17.

² - ينظر رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة، الجزائر، د.ط، 2000م، ص

³ -A/J Greimas, Sémantique structurale, imprimerie Larousse, Seuil, 1996, p 6.

- ⁴ - جمال حضري، مقدمة كتاب سيميائية اللغة، جوزيف كورتيس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002م، ص 5.
- ⁵ - المرجع السابق، ص 9.
- ⁶ - ينظر جون كلود كوكي، مدرسة باريس، ترجمة رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2001م، ص 7-14.
- ⁷ - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 6.
- ⁸ - أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، وجبر العلامات، الدار العربية للعلوم ناشرون، المركز الثقافي العربي، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، 2005م، ص 118.
- ⁹ - فاضل ثامر، اللغة الثانية، في إشكالية المنهج، النظرية، المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م، ص 78.
- ¹⁰ - المرجع نفسه، ص 83.
- ¹¹ - عبد المالك مرتاض، مفاهيم سيميائية بمصطلحات بلاغية، مجلة سيميائيات، مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، الجزائر، العدد 2، 2006م، ص 4.
- ¹² - عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م، ص 63.
- ¹³ - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردية، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991م.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ص 113.
- ¹⁵ - المصدر نفسه، ص 114.
- ¹⁶ - المصدر نفسه، ص 117.
- ¹⁷ - المصدر نفسه، ص 115.
- ¹⁸ - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص 39.
- ¹⁹ - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردية، ص 13.
- ²⁰ - المصدر نفسه، ص 13.
- ²¹ - المصدر نفسه، ص 6.
- ²² - المصدر نفسه، ص 7.
- ²³ - محمد الناصر العجيجي، موقع السيميائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة سيميائيات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، الجزائر، العدد 2، ص 26.
- ²⁴ - محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردية، ص 17.
- ²⁵ - عبد اللطيف محفوظ، خصوصيات النقد السيميائي للرواية بالمغرب، ندوة الرواية العربية والنقد، المداخلات والتوصيات، يناير 2010م، ص 135.

- ²⁶-عبد الرحيم جبران، مقدمة كتاب البناء والدلالة، مقارنة من منظور سيميائية السرد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص 16.
- ²⁷-ينظر عبد اللطيف محفوظ، خصوصيات النقد السيميائي للرواية بالمغرب، 2010، ص 136.
- ²⁸-تذكر على سبيل المثال: مجلة علامات المغربية، مجلة علامات الصادرة عن النادي الثقافي بجدة، مجلة سيميائيات بوهران/الجزائر، مجلة بحوث سيميائية جامعة تلمسان

- قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- 1- محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ت، 1991.

ثانياً: المراجع العربية:

- 1- أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، وجبر العلامات، الدار العربية للعلوم ناشرون، المركز الثقافي العربي، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، د.ت، 2005م.
- 2- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة، الجزائر، د.ت، 2000.
- 3- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ت، 1988م.
- 4- عبد اللطيف محفوظ، خصوصيات النقد السيميائي للرواية بالمغرب، ندوة الرواية العربية والنقد، المداخلات والتوصيات، يناير 2010م.
- 5- عبد الرحيم جبران، مقدمة كتاب البناء والدلالة، مقارنة من منظور سيميائية السرد لعبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ت، 2010م.
- 6- فاضل ثامر، اللغة الثانية، في إشكالية المنهج، النظرية، المصطلح، في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994م.

ثالثاً: المراجع باللغة الأجنبية:

- 1-A/J Greimas ? Du sens, essai sémiotique, édition du seuil, Paris, 1970.
- 2-A/J Greimas, Sémantique structurale, imprimerie Larousse, Seuil, 1996.

رابعاً: المراجع المترجمة:

- 1- جوزيف كورتيس، سيميائية اللغة، تر: جمال حضري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002م.
- 2- جون كلود كوكي، مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ت، 2002م.
- 3- ميشال أريفييه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ت، 2002م.

خامساً: المجلات:

- 1- مجلة سيميائيات، مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، الجزائر، العدد 2، 2006م.
- 2- مجلة سيميائيات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، الجزائر، العدد 2.